بدائل قروية
عدد خاص حول الشباب القروي
www.alternatives-rurales.org

المسار القاسي لفتاة من القرية بالجامعة: حوار مع سهام

حاورتها: زهور بوزيدي

عرفي بنفسك لو سمحت.

إسمي سهام،21 سنة ،طالبة جامعية بالسنة الثالثة، شعبة الدراسات العربية بكلية الآداب و العلوم الإنسانية بمكناس. أنحدر من دوار يبعد عن مدينة ميدلت بحوالي 15 كلم وأعيش وسط عائلة تتكون من تسعة أفراد : خالتي أبي وثلاث أخوات، سنهن على التوالي 17 ، 08 و 02 سنوات، بالإضافة إلى أخ يبلغ من العمر 12 سنة .انقطعت أختي البالغة من العمر 17 سنة عن الدراسة بعد بلوغها المستوى السادس ابتدائي لأسباب صحية، وهو نفس المستوى الذي يدرس به أخي حاليا، فيما تدرس أختي البالغة من العمر 08 سنوات بالسنة الأولى ابتدائي. بالنسبة لوالداي، يبلغ عمر أمي 40 سنة و تشتغل كعاملة فلاحية مياومة بحقول إقليم ميدلت، فيما يبلغ عمر والدي 60 سنة. والدي كان دائم التغيب عن المنزل بسبب اشتغاله كعامل بناء مياوم يضطردائما للسفر بحثا عن ورشات البناء بمدن بعيدة مثل طنجة و تطوان أو إيفران. لكن، قبل تسع سنوات من الآن تدهورت حالته الصحية بشكل كبير فلازم الدوار حيث أصبح يعمل كمؤذن.

تحدثي لنا عن مرحلة الدراسة الابتدائية؟

درست خلال السنوات الست الأولى بمدرسة القرية. كانت جودة التعليم هناك جد متدهورة بسبب التغيبات المطولة للمدرسين ،وحتى في حال حضورهم كانوا يكلفوننا بقراءة نصوص طويلة بصوت مرتفع تلميذا تلو الآخر ويغادرون قاعة الدرس. كان المستوى الدراسي لأبي لا

يتعدى الابتدائي، أما أمي فلا تعرف القراءة و لا الكتابة و مع ذلك فقد حرصت بشدة أن ألتحق بالمدرسة. فيما لم يكن أبي متحمسا للفكرة، خاصة في البداية لأن التقاليد بالمنطقة تمنع بنات الدوار من التردد على المدرسة. لكن، بعد أن لمس شدة تعلقي بالتعليم و تفوقي الواضح، حيث كنت أحصل دائما على أعلى المعدلات، بدأ يبدي لي بعض التشجيع و يساعدني في حل الواجبات المنزلية.

بعد نهاية المرحلة الابتدائية، كان يتوجب علي أن ألتحق بمدينة ميدلت حيث توجد المؤسسة الإعدادية، وهو أمر لا يمكن أن يتم بدون موافقة الوالدين. وبحكم أن مرتبتي كانت الأولى بالمدرسة فقد حصلت على منحة تخول لي السكن بدار الطالبة بمدينة ميدلت لكن مفاجئتي كانت كبيرة عندما تم تفويت غرفتي لفتاة بفضل تدخل بعض معارفها بالمدينة لدى الإدارة رغم أنها كانت تحتل المرتبة الخامسة من بعدي.

لم يكن بمقدور أبي أن يوفر لي ثمن الكتب الدراسية، بالأحرى أن يكتري لي غرفة بالمدينة. كان رأي أهل القرية و أفراد من عائلتي موحد على أن إتمامي للدراسة جهد لا طائل منه ما دام مصيري سيكون هو الزواج في سن مبكر كسائر بنات المنطقة. وقد سبق أيضا لإحدى بنات القرية أن تعرضت للاغتصاب بالمدينة. هذا الحدث لم ينساه سكان المنطقة و أصبحوا يرون في خروج كل فتاة من القرية خطرا محتملا على شرف القبيلة. لذلك لم يوافق أبي على سفري وأنا لم أصر من جهتي. حتى أن إمكانية الإصرار لم تكن موجودة أصلا لأن الأعراف المحلية تمنع الفتاة من أن تتحدث بحرية مع أبيها فضلا عن أن تناقش قراراته. إذ كانت سلطة الأب غير قابلة للتجاوز مطلقا.

من جانبها لم تقف أمي مكتوفة الأيدي، بل عملت على ربط الاتصال مع بعض أقارب أبي بمدينة ميدلت، فأقنعتهم بإيوائي خلال فترة الدراسة مما جعل أبي يوافق بالنهاية. اليوم، يمكنني القول بأن إتمامي لدراستي يرجع فيه الفضل بالأساس للدعم الكبير الذي وفرته لي أمي. إذ كانت جد واعية بأهمية متابعتي لدراستي على الرغم من أن قدماها لم تطأ يوما المدرسة.

تحدثي لنا عن فترة الدراسة هذه بمدينة ميدلت لو سمحت.

تركتني والدتي مع أفراد تلك العائلة بالمدينة حتى أتمكن من التردد على المؤسسة الإعدادية. لكن لم أكن أبدا مرتاحة معهم بسبب معاملتهم لي كخادمة ،حيث كان علي أن أقوم بأعمال تنظيف البيت و غسل الملابس و الأطباق بمفردي. كما كانوا يمنعونني من زيارة عائلتي خلال نهاية الأسبوع حتى لا يعلم أبواي بمعاناتي. عندما كانت أمي تزورني بالمدينة، كنت أبدي لها رغبتي بالانقطاع عن الدراسة و العودة للقرية، لكني في الحقيقة لم أكن أستطيع تحمل العيش أكثر مع هؤلاء الأفراد. استمرت هذه الوضعية طيلة الدورة الأولى، ومع ذلك تمكنت من الحصول على نقط جيدة.

بعد دلك أخبرت والدتي بالتفاصيل فطلبت مساعدة إحدى قريبات والدي التي كانت تعمل مدرسة بالثانوية، حيث ساعدتني على تحرير طلب الالتحاق بدار الطالبات من جديد، خاصة بعد أن اطلعت على نقطي المتفوقة. بذلك تمكنت من الولوج لداخلية الاعدادية بداية من الدورة الثانية.

كنا جميعنا فتيات ينحدرن من العالم القروي بالداخلية. كانت طالبات المستوى الثانوي ينمن في جناح مختلف عن طالبات الإعدادي لذلك يتعمدن الصراخ ليلا لإخافتنا و إيهامنا أن الجناح حيث ننام تسكنه الأشباح. هذه التصرفات تسببت في مغادرة العديد من الطالبات للداخلية و انقطاعهن النهائي عن الدراسة بسبب الرعب و التخويف. بالنسبة لي، ما لم أكن أتحمله بالداخليةكان التغذية السيئة المقدمة لنا،لكني لم أكن أملك الاختيار فقد كان علي أن آكل حتى أستمر بالعيش. إذ كان أبي يمنحني فقط مبلغ 10 دراهم للتنقل بين القرية و المدينة وفي بعض الأحيان لم يكن يمنحني أكثر من خمسة دراهم كمصروف لمدة أسبوع.

كلما كبرت كلما كانت تزداد متطلباتي من الملابس و الكتب و الحاجة إلى أكل طعام لائق،لذلك بمجرد أن أنهيت ثلاث سنوات في دراساتي الإعدادية شرعت في العمل خلال الصيف كمياومة بالحقول. كان ابي يعاني بشدة لتلبية الحاجيات الأساسية المتزايدة لأفراد العائلة، وحتى مدخول أمي اليومي من عملها لم يكن يكفي،لذلك كان الوقت قد حان بالنسبة لي للخروج إلى العمل بالضيعات كسائر بنات القرية. أجبر أبي الذي كان متحفظا في البداية على قبول الوضع الجديد تحت ضغط الفقر.

كيف كان العمل يسير بالضيعات الفلاحية؟

لازلت أتذكر جيدا يومي الأول في العمل،كان ذلك خلال شهر رمضان و الجو شديد الحرارة. استفقت باكرا وحضرت سيارة لنقل البضائع وحملتنا في اتجاه الحقل، كنت صائمة وكان العمل يمتد من الساعة الخامسة أو السادسة صباحا حتى الساعة الخامسة أو السادسة مساء. كانت تمنح للعمال مدة لا تزيد عن ساعة واحدة فقط للأكل أو الراحة. كان رئيس العمال في البداية ينهرني بشدة بسبب عدم إتقاني للطريقة الصحيحة في جني التفاح، لكن سرعان ما علمتني بنات القرية كيف أتقن العمل. في طريق العودة من الضيعة، ضربت عاصفة قوية و فاضت المياه بالوادي الذي يفصلنا عن الطريق حيث كانت تنتظرنا السيارة التي ستقلنا للقرية. اضطررنا للإنتظار طويلا من أجل هبوط مستوى المياه بالوادي ،وكان وقت الإفطار من الصوم قد مر بساعات. بعد توقف سقوط الأمطار أمسكت العاملات يد بعضهن البعض و شكلنا سلسلة حتى نتمكن من عبور النهر على الأقدام. في ذلك اليوم شعرت بخوف شديد ولا زلت غير قادرة على نسيان هذه الذكرى.

كانت الفتيات داخل الضيعة عرضة لتحرشات العمال و رئيسهم. كان بعضهن يستسلم في النهاية خوفا من فقدان الشغل الذي كان رغم قساوته يعتبر فرصة للهرب و التحرر من ضغط العائلة و الرقابة الاجتماعية الشديدة بالقرية. داخل الضيعة، كنت بدوري عرضة لتحرشات رئيس العمال الذي كان يطلب مني أن أغادر الضيعة أو يحرمني من العمل لأيام كنوع من الضغط علي،غير أن فتيات القرية ترجينه أن يدعني و شأني، نظرا لأني كنت صغيرة السن و عائلتي فقيرة جدا و في حاجة شديدة لدخلي.

كنت أعمل أثناء العطلة الصيفية خصيصا في جني التفاح مقابل مبلغ ثمانون درهما لليوم الواحد،وعندما أرغب في زيادة دخلي أشتغل كحمالة للصناديق مقابل 100 او بالأكثر 120 درهم لليوم الواحد. بدأت حمل الصناديق منذ حوالي سنتين رغم هزالة جسمي (تبتسم). في البداية كنت أسلم كامل دخلي لأمي لتساعد أبي في المصاريف، أو لتتكلف بمصاريف التطبيب و شراء الأدوية في حالة مرض أحد أفراد العائلة وتلبية حاجياتهم المتزايدة. بدأت أختي البالغة من العمر سبعة عشر سنة، التي تخلت عن دراستها عند بلوغها المستوى السادس ابتدائي لأسباب صحية، تشتغل بدورها قبل حوالي سنة كعاملة فلاحية.

كيف مرت المرحلة الثانوية؟

في بداية هذه المرحلة انتقلت إلى داخلية خاصة بطالبات المستوى الثانوي، كانت أمي تمدني بمبلغ خمسون درهما كمصروف أسبوعي تقتطعها من المال الذي حصلت عليه من خلال عملي أثناء الصيف. كنت أستعمل هذا المبلغ في أكل وجبات أخرى غير التي تقدم لنا بمطعم الداخلية، كون هده الأخيرة لم تكن صالحة. كانت أمي تقتني لي أيضا بعض الكتب المدرسية والملابس الضرورية عند الحاجة (حذاء أو معطف خلال فصل الشتاء).

حصلت على شهادة الباكالوريا سنة 2012، و لم يكن حتى التلاميذ الذكور بالقرية يستطيعون الحصول عليها. لم يصدق سكان القرية الذين كانوا يستخفون بقدراتي نجاحي. كانوا يقولون "كيف تمكنت هذه الفتاة من الحصول على شهادة الباكالوريا؟". لكن البعض قال أني ما دمت قد نجحت في الحصول على شهادتي فلأني في الأخير فتاة جادة ولم أذهب للمدينة كي أتسكع. في السابق كان بعض القرويين ينعتني بالحمقاء لأن عائلتي من بين أفقر العائلات بالقرية، و لم يكن أبي يملك لا أرضا و لا إمكانيات كافية لتلبية متطلبات كل أفراد الأسرة فكيف له أن يرسل أبناءه إلى المدرسة.

ماذا فعلت بعد حصولك على شهادة الباكالوريا؟

كانت عائلي جد فخورة بي بعد حصولي على شهادة الباكالوريا خلال الموسم الدراسي 2013/2012. منذ تلك اللحظة أحسست باحترام العائلة و أهل القرية لي. فقد كنت الفتاة الثانية من المنطقة التي تمكنت من نيل

شهادة الباكالوريا، و التي ترغب في متابعة دراساتها العليا.

كان حلمي أن أدرس السينما و المسرح لأني كنت أشارك في كل الأنشطة الفنية المنظمة بالإعدادية و الثانوية. لذا أرسلت ملفي إلى معهد متخصص في مهن السينما بمدينة ورزازات فتم قبوله. كان أبي رافضا لفكرة أن أصبح ممثلة تظهر على شاشة التلفاز ونحن من عائلة و قرية جد محافظتين. أقنعته بأني سأتعلم مهنة الإخراج، و هكذا لن يرى وجهي ابدا على الشاشة. بعد قبول ملفي بشكل نهائي عجزت عن دفع مصاريف التكوين و التنقل إلى مدينة ورزازات الأمر الذي أجبرني على ترك حلمي.

دخلت كلية الحقوق بمدينة مكناس لبعض الوقت، ثم انتقلت إلى كلية الآداب شعبة الدراسات العربية. وهنا أقول بأن ولوجي للجامعة ما كان ليكون ممكنا لولا حصولي على منحة 1900 درهم كل ثلاثة أشهر مع قبولي في سكن بالحي الجامعي. بدون هذا الأمر لم أكن لأستطيع اكتراء غرفة بمدينة مكناس ولا أن أحضر الدروس بانتظام .

لم يكن التأقلم داخل الحي الجامعي، صعبا نظرا لكوني معتادة على السكن في الداخليات سابقا خلال المراحل الإعدادية و الثانوية .هناك بالحي الجامعي، التقيت بفتيات درسن معي بالثانوية بمدينة ميدلت كما تعرفت على أخريات قدمن من مناطق أخرى. الظروف داخل الحي الجامعي ليست على ما يرام، حيث يعم الضجيج ليلا ونهارا مما يعيقنا عن الاشتغال و تحضير الامتحانات.

يتعاطى بعض الفتيات، خاصة اللواتي ينحدرن من مناطق قروية للدعارة من أجل تلبية حاجاتهن الضرورية واقتناء ما يلزمهن من ملابس .تجد هذه الظاهرة في نظري أسبابها في فقر الأسر وعدم قدرتها على تغطية مصاريف تمدرس بناتهن ،خاصة وأنهن داخل المدينة في احتكاك مع غيرهن من الطالبات يرغبن في اقتناء ملابس و مستلزمات للزينة...هذه الفئة من الفتيات تسيئ بشكل كبير لسمعة الأحياء الجامعية، و تعمم هذه السمعة السيئة على جميع القاطنات بها ،رغم أن العديد من الطالبات يلبين احتياجاتهن الضرورية عن طريق العمل سواء بالمدينة أو كعاملات فلاحيات كما هو الحال بالنسبة لي.

خلال الصيف أشرع في العمل مباشرة بعد عودتي للقرية و أحصل على مدخول متقلب بعد شهر أو شهرين من العمل لا يفوق في كل الأحوال مبلغ 3000 درهم حيث كثيرا ما أمرض لأني أعاني من الأنيميا ومن مشاكل بالمعدة. عموما أسلم نصف مدخولي لوالدتي وعند الضرورة يمكنها أن تحتفظ بأكثر من نصف المبلغ. أحتفظ بالباقي لأعيش أو لزيارة الطبيب عند الحاجة وأيضا لأغطي تكاليف بداية الموسم الدراسي في انتظار الحصول على المنحة التي غالبا ما يتأخر موعدها و لا تكفي إلا للحاجيات الضرورية. لذلك عندما أمرض أضطر للعمل لربح ما يكفي من المال لكون زيارة

الطبيب مكلفة خاصة وأنني لا أتمتع بأي تغطية اجتماعية.

ماذا تنوين العمل بعد الحصول على شهادة الإجازة ؟

بعدما سأحصل على شهادة الإجازة أنوي متابعة دراستي للحصول على شهادة الماجيستير ولما لا شهادة الدكتوراه أيضا. همي الوحيد هو الإكراهات المادية ولا أبالي بما يقوله أهل القرية. حيث يرون بأنه يجب علي أن أنهي مشواري الدراسي و أبحث عن زوج مثل جميع فتيات القرية اللاتي يتزوجن غالبا مابين الخامسة عشرة و الثامنة عشرة سنة. هذا النوع من الزيجات بالنسبة لي هو عامة وسيلة لاستقدام خادمة تتولى الأعمال المنزلية و تجلب المياه لعائلة الزوج الممتدة. الفتاة الوحيدة التي استطاعت الحصول على شهادة الإجازة من قبل بالقرية انتهى بها الأمر إلى الزواج لذلك يتسلى أهل القرية ويقولون أن شهادتي لن تنفعني وعلي بالزواج.

ما هي الصعوبات التي تواجهها الفتيات بالوسط القروي؟

من وجهة نظري، يتمثل أول عائق في عدم تفهم الأسرة و خاصة الأب لكون الفتاة هي إنسان له رغبة في العيش الكريم و تحقيق ذاته. في القرية، غالبا ما يكون الآباء متسلطين وينتقصون من شأن بناتهم واحتياجاتهن و ينظرون إليهن كقوة عمل داخل و خارج المنزل حيث يجب أن يغلق عليهن الباب ويمنعن من الخروج حتى رفقة صديقاتهن لتبادل الحديث خارج المنزل دون رقابة العائلة. زيادة على هذا لا توجد أماكن لقضاء وقت الفراغ أو لتعلم حرفة أو للحصول على دخل من غير العمل المنزلي. يرفض الآباء تمدرس الفتيات، فيصبح طريقهن مرسوما و في حالة السماح لهن بالتردد على المدرسة ليس من حقهن تجاوز المرحلة الابتدائية كي لا يغادرن القرية، ثم يجبرن على المكوث بالمنزل و انتظار الزوج.

عندما أعود إلى لقرية أحاول إقناع الفتيات بالذهاب إلى المدرسة الابتدائية، ثم الإعدادية، لكنه أمر بالغ الصعوبة بسبب الضغط الشديد للعائلات. لدي جارة وهي فتاة ذات موهبة عالية تدرس بالسنة الخامسة ابتدائي،حاولت جاهدة إقناع والدتها السماح لها بالالتحاق بالإعدادية لكن دون جدوى .أخبرتني أمها أنها لا تجرؤ على فتح هذا الموضوع لا مع والد الفتاة ولا مع أمه لكونهم يرفضون بشكل قاطع أن تتجاوز ابنتهم حدود القرية إلافي حالة الزواج.

يضل التمدرس بالعالم القروي مشكلة حتى بالنسبة للذكور، ففي حديث سابق لي مع أحد سكان القرية أخبرني أنه يفضل أن يبقى ابنه تحت رقابته على أن يرسله للمدينة لتعلم الكذب و السرقة و التدخين...بالنسبة للفتاة في حالة ذهابها إلى المدينة ينتظر أن تتعرض للأسوأ :أن تتعرض للاغتصاب و تلطخ شرف العائلة. بعض الفتيات يملكن الشجاعة لمناقشة الأمر مع آبائهن و يتمكن أحيانا من إقناعهم بتركهن يذهبن للمدرسة، ولاحظت

أيضا أن الفتيات الاتي توفى آبائهن و لهن في العائلة أخوة متعلمين يتوفرن على حظوظ أكبر للتمدرس.

إلى جانب السلطة العائلية توجد حواجز أخرى تمنع تعلم الأطفال بالقرية، مثل الفقر الذي يدفع الأسر إلى تجنيد أبنائهم للذهاب إلى العمل عوض المدرسة. تبقى الكتب و اللوازم المدرسية بعيدة عن متناول معظم الأسر الفقيرة. كما أن غياب النقل المدرسي و الإعداديات بالقرية يجعل كذلك تمدرس الأطفال وخاصة الفتيات جد مقيد.

ماذا تقترحين كحلول قد تساعد على تحسين ظروف تمدرس الفتيات بالوسط القروي؟

أعتقد أنه سيكون من المفيد جدا تنظيم دورات تحسيسية وتوعوية للآباء حول أهمية تعليم الفتيات. قبل أكثر من سنتين، كان هناك برنامج للدولة لدعم تمدرس الأطفال بالوسط القروي عن طريق توزيع الكتب و اللوازم المدرسية وتقديم منح تتراوح بين مائة وخمسون وثلاثمائة درهم خلال كل ثلاثة أشهر لكل تلميذ بالسلك الابتدائي حسب المستويات الدراسية. شجع هذا البرنامج بشكل واضح على تمدرس الأطفال وخاصة الذكور، فيما معدل تمدرس الإناث ضل متواضعا. و حتى عندما تسجل الفتيات بالمدارس الابتدائية فنادرا ما يصلن إلى الإعداديات كون هذه الأخيرة تقع بالمدينة.

أعتقد أيضا أن توفير النقل المدرسي يمكن أن يحسن من نسبة تمدرس الفتيات لكون مبيت البنت بمنزل عائلتها يعتبر من الأمور الأساسية بالنسبة لمعظم الآباء.

في النهاية بالنسبة لي رغم كون الداخليات أماكن يصعب العيش فيها، لكنها تبقى الفضاء حيث تعلمت كيف أكون مستقلة وأستطيع استكمال دراستي. لذلك أعتقد أن تحسين ظروف استقبال و عيش الفتيات بالداخلية يمكن أن يقوي من جاذبيتهالفتيات العالم القروي.